جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بابل

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ

ست الملك ودورها السياسي في الدولة الفاطمية

بحث مقدم إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة بابل وهو جزء من متطلبات الحصول على شهادة البكالوريوس في قسم التاريخ

أعداد الطالب

علي محي كاظم زبار

بـــأشراف

د. رغد حميد ساجت

١٤٤٥هـ

٢٠٢٤ م

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤)﴾

صدق الله العلي العظيم

(سورة الرعد، الاية: ٤)

الاهداء

إلى من أُفضّلها على نفسي

.(أمي)

نسير في دروب الحياة ، ويبقى من يُسيطر على أذهاننا في كل مسلك نسلكه

صاحب الوجه الطيب ، والأفعال الحسنة

..(والدي العزيز)

الشكر
والتقدير

اللهم لك الحمد والشكر على نعمتك التي انعمتها علينا والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين. اتقدم بجزيل الشكر والامتنان والعرفان الى كل من ساهم في غرس بذور هذا العمل المتواضع.

واتوجه بالشكر للدكتورة المشرفة (رغد حميد) التي تفضلت بالأشراف على بحثي هذا وعلى نصائحه وتوجيهه القيم وان له الاحترام والتقدير.

كما اتوجه بالشكر والامتنان الى لجنة مناقشة البحث.

كما أتوجه بالشكر والتقدير الى اساتذتي الكرام الذين رافقوني في هذه المسيرة الدراسية.

المحتويات

ت	الموضوع	الصفحة
١	الآية القرآنية	أ
٢	الاهداء	ب
٣	شكر وتقدير	جـ
٤	قائمة المحتويات	د
٥	المستخلص	١
٦	المقدمة	٢
٧	**المبحث الأول**	٣-٦
٨	اولاً: اسمها ولقبها	٣-٤
٩	ثانيا: دور الأميرة ست الملك في عصر الخليفة العزيز بالله	٤-٦
١٠	**المبحث الثاني**	٧-٢٤
١١	اولاً: دور ست الملك في عهد الحاكم بأمر الله	٧
١٢	١. دور الأميرة ست الملك في السياسة الداخلية	٧-١٢
١٣	٢. دور ست الملك في السياسة الخارجية	١٢-١٥
١٤	٣. توتر العلاقات بين الأميرة ست الملك والخليفة الحاكم بأمر الله وأسبابها	١٥-١٨
١٥	ثانيا: ست الملك ودورها في عصر الخليفة الظاهر الإعزاز دين الله	١٨-١٩

١٦	١. دور الاميرة ست الملك في السياسة الداخلية	١٩-٢٢
١٧	٢. دور الأميرة ست الملك في السياسة الخارجية	٢٢-٢٤
١٨	الخاتمة	٢٥-٢٦
٢١	المصادر	٢٧-٢٩

المستخلص

شحذ في تاريخ مصر، وكان الطابع الإسلامي النسوي له تأثير واضح في تاريخ مصر الإسلامية، ولكن شخصية شجرة الدر (٩)، والملكة الأولى والأخيرة جلس على عرش مصر الإسلامية. قدمت مصيرها لتجلس على عرش الخلفاء والسلاطين وتديم نفسها بذلك في سجل مهيب رسمي لكن مصر الإسلامية كانت تعرف شخصيات أخرى أخذت نساء مكانتها في قصور الخلفاء والسلاطين، وكان لها أكبر الأثر في توجيه سياسة الدولة ومصيرها في طليعة هذه الشخصيات الأميرة الست الملكية الفاطمية التي لم تجلس على العرش ولم تتولى رئاسة أو قيادة مسؤول، بل نفس الذكاء والقوة والشجاعة

المقدمة

بفضل ما حمله الدين الاسلامي من مبادئ العدالة والمساواة والاخلاق والمثل الرفيعة للعرب جمعاء فقد ضمن للمرأة باعتبارها تشكل شريحة واسعة في المجتمع العرب الاسلامي الكثير من الحقوق فارتفعت قيمتها وقدرها في هذا المجتمع سواء اكانت اماً أو زوجة او بنت فقد كرمها الله سبحانه وتعالى بأن سمى احد السور السبع الطوال بأسمها ، الا وهي سورة النساء او ماتسمى سورة النساء الكبرى وسميت سورة الطلاق سورة النساء الصغرى . فقد ذكرت كلمة النساء في (١٢) اثنتي عشرة سورة من سور القرآن الكريم إذ وردت هذه الكلمة (٥٧) سبعة وخمسون مرة أما كلمة المرأة فقد ذكرت فى (٢٦) ستة وعشرين موضعاً .قال تعالى ((ووصينا الانس بولديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكرلي ولولديك الى المصير)) وقال عز من قائل ((ومن يعمل من الصلحت من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا)) ففي هذه الآية الكريمة ساوى الله سبحانه وتعالى بين الطرفين في القيام بالاعمال الصالحة وما يترتب عليها من الاجر والثواب قال تعالى)) فاستجاب لهم ربهم أني لا اضيع عمل عمل منكم من ذكر او اثنى بعضكم من بعض)

وكذلك قامت المرأة بدور كبير في سياسة البلاد الداخلية والخارجية في مصر في العصر الفاطمي، وهناك بعض النساء اللاتي شاركن في هذا المجال وكانت من أبرزهن السيدة ست الملك التي تعد من أهم الشخصيات النسائية في تلك الفترة والتي كان لها دور واضح وملموس في عصر ثلاثة من خلفاء هذه الدولة بدءا من عهد والدها العزيز بالله ومروراً بعهدي أخيها الحاكم بأمر الله وابنه الظاهر الإعزاز دين الله.

ودراسة شخصية ست الملك والدور السياسي الهام الذي قامت به في شئون الدولة الجديرة بالاهتمام خاصة إذا اتخذت هذه الدارسة الشكل التطبيقي من خلال واقع ملموس تمثله أدوارها المختلفة التي لعبتها خلال العصر الفاطمي وظهر ذلك بشكل واضح خلال عهدي الحاكم بأمر الله والظاهر لإعزاز دين الله وتمكنت من ضرب أروع الأمثلة في كيفية الحفاظ على دولة آبائها بطريقة إيجابية والاضطلاع بشئون الحكم في الداخل والخارج حتى وفاتها.

المبحث الأول

اولا: اسمها ولقبها

ست الملك هي فاطمة بنت علي ابنة الخليفة العزيز بالله وأخت الخليفة الحاكم بأمر الله وتعرف أيضا باسم ست النصر أو ست الملوك أو ست الكل والسلطانة كما لقبت بعدة القاب تدل على مكانتها مثل السيدة الشريفة كما كانت تخاطب بمولاتنا ومن ألقابها أيضا السيدة العزيزة وتعني الأم، وسيدة أو ست الملك وتعني البنت [١]

وهي اخت الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦ – ٤١١ هـ / ٩٩٦ – ١٠٢٠ م) من ابيه امها جارية نصرانية من اصل رومي تدعى درة [٢] وقد اكدت الروايات الكنسية ذلك اذ بينت ان لهذه السيدة اخوين هما خال ابنتها ست الملك ويدعيان ارسانيوس واربطيس رفعهما الخليفة العزيز بالله الى ذروة المناصب الكنسية تكريماً لاختهما زوجته درة ، اذ عين الأول مطرانا ثم غدا بطريقاً للطائفة الملكية بالاسكندرية اما الثاني فقد عينه بطريقاً للطائفة ذاتها في بيت المقدس وقد كان لهذين الحبرين نفوذ عظيم في البلاط الفاطمي [٣]

ولدت بالمغرب سنة ٣٥٩ هـ / ٩٧٠ م لام نصرانية من طائفة الملكانية [٤] اسمها تغريد وكانت أمها تجمع بين الجمال الفائق وقوة الشخصية مما بمر الخليفة العزيز بالله فاتخذها أم ولد فأنجبت له بنتها هي ست الملك وابنا

---

(١) المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت: ٨٤٥ هـ/ ١٤٤١ م) ، اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق محمد حلمي ، القاهرة- ١٩٧١ ص ٢١٣.

(٢) الحسيني، تاج الدين بن محمد (ت ٧٥٣ هـ / ١٣٢٥م) ، غاية الاختصار في اخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار ، بولاق ، ١٨٩٢م ، ص ٦٠.

(٣) الانطاكي، يحيى بن سعيد (ت : ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥م) ، صلة تاريخ سعيد بن البطريق المسمى صلة تاريخ اوتيخا ، بيروت - ١٩٠٩ م ، ج ١ ، ص ١٦٤ ؛ تامر ، عارف ، الحاكم بأمر الله واسرار الدعوة الفاطمية ، مصر ، ص ٨٧.

(٤) طائفة الملكانية: هم أتباع ملكان الذي ظهر ببلاد الروم في سنة ٤٥١ م على أثر وقع في مجمع خلقدونية الكنسي من جدل لاهوتي رفض بعض الأقباط الخضوع لقرارات هذا المؤتمر فاعتبرهم الإمبراطور كفرة واختار للإسكندرية بطريركا من قبله عرف أتباعه بالملكانيين وهم الأقباط الكاثوليك وأنصار الإمبراطور وعرف الأقباط الخارجون وهم الكثرة باليعاقبة. ، مجلة كلية الآداب الجامعة المستنصرية ، ست الملك وأثرها في الحياة السياسية للدولة الفاطمية، عدد ٤٩، (٢٠٠٩) ص ٤

هو المنصور الذي سمي الحاكم بأمر الله، وتمتعت ست الملك بمكانة عالية لدي أبيها وأحيطت بكل أسباب الترف وظهر ذلك واضحا في بناء الخليفة العزيز القصر الغربي لها لتعيش فيه بمفردها.

عاشت هذه الاميرة الفاطمية عيشة رغد وقد خصص لها القصر الغربي [١] للسكن فيه وعمل في خدمتها الكثير من الجواري ولها طائفة من الجند تحرسها سميت بالعطوفية [٢] وقيل اسمها القصرية [٣] ويخدمها فيه أربعة آلاف جارية كما كانت لها طائفة خاصة من الجند تقوم بحراستها تعرف بالعطوفية تنسب إلى عطوف أحد خدام القصر السود، وطائفة أخري تسمي القيصرية، وهي خاصة باصطحابها خارج القصر ، هذا فضلا عن عدة دواوين خاصة بها، ولها كاتب وعدة موظفين وإقطاعات تدر لها كل عام مبلغا كبيراً غير مال عظيم وجواهر وقماش وتحف لا تحصي [٤]

ثانيا: دور الأميرة ست الملك في عصر الخليفة العزيز بالله

شبت است الملك أيام حكم والدها العزيز بالله، وعاشت فترة الصبا والمراهقة في عهده، ولما وصلت إلى سن الرابعة عشرة، وهى سن البلوغ، كان أبوها يشركها معه في الحكم ويستشيرها في أمور الدولة حتى وفاته، وهي في سن السادسة عشرة، فتكونت لها في هذه السن المبكرة خبرة واسعة فى شئون الحكم والشئون العامة.

---

(١) -القصر الغربي، هو القصر الذي انشاه الخليفة العزيز بالله تجاه القصر الشرقي أو قصر الخلافة، اشتهر هذا القصر بجماله حتى قيل انه لم يبنى مثله في شرق ولا غرب ، المقريزي ، الخطط المقريزية ، وضع هوامشه خليل المنصور ، بيروت - ١٩٩٨ ، ج ٢، ص ٣٧٦ - ٣٧٧ ؛ مبارك ، علي باشا ، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة المشهورة ، بولاق - لا - ت ، ج ٢، ص ٩٣.

(٢) العطوفية ، احد طوائف الجيش الفاطمي وقد سميت بذلك نسبة الى عطوف احد خدام القصر الذي كان يعمل في خدمة والدة ست الملك ثم عمل في خدمة ست الملك بعد وفاة والدتها وصار غلاماً لها وقد نسبت اليه حارة العطوفية احد حواري القاهرة ، المقريزي ، الخطط ، ج ٣، ص ٢٦ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٤، ص ٥٠.

(٣) المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٣٧٧؛ سيد ، ايمن فؤاد ، الدولة الفاطمية - تفسير جديد ، الدار المصرية اللبنانية - ٢٠٠٠ م ، ص ٦٦٧ .

(٤) سعيد عاشور، أوربا في العصور الوسطي، ج ١ ، ص ٥٥.

وعند وفاة أبيها، أوصاها أبوها، وهو على فراش الموت، بتكفل أخيها الخليفة الصغير (الحاكم بأمر الله) الذي لم يتخط الحادية عشرة سنة من العمر، وطلب منها رعايته ومساعدته وإفادته بخبرتها فى شئون الحكم فبرزت بكل قوة على مسرح الأحداث خلال خلافة أخيها، وقامت بتنفيذ وصية أبيها بكل جلد وصبر.

ويكاد يجمع المؤرخون على أن ست الملك كانت ذات شخصية متميزة لما كانت تتمتع به من العقل والحزم وحسن السياسة، وكان والدها العزيز بالله يحبها ويؤثرها ويسمع إليها ويعمل بنصائحها فنالت بذلك مكانة مرموقة ونفوذا واسعا طوال عهده، ولعل عدم زواجها أعطاها الفرصة في أن تكرس حياتها المصلحة الدولة التي نشأت فيها وهي قوية [١].

وعمل الخليفة العزيز بالله برأي ابنته ست الملك وأمها مما كان له أثر كبير في ازدياد نفوذ النصارى من أصحاب المذهب الملكاني ورفع شقيقي زوجته إلى ذوي المناصب الكنسية العليا وعين أحدهما ويدعي أرسطيس بطريركا على الملكانية ببيت المقدس وعين صهره الثاني أرسانيوس مطرانا بالقاهرة ثم رقي في عهد الحاكم بأمر الله بطريركا للملكانية بالإسكندرية ولم يكن عطف الخليفة العزيز بالله على الكنيسة القبطية ولا على جماعة الملكانية التي كانت تتبعها زوجته بغريب عليه لما عرف عنه من تلقيه العلم على يد بعض الأساتذة من بعض نصارى المصريين [٢]

(١) ماجد عبد المنعم، الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه، ص ١٧٢، ناريمان عبد الكريم المرأة في مصر ، ص ١٩٦ ، محمد زغلول : الأدب في مصر في العصر الفاطمي، ص ٣٢
(٢) عارف تامر، الحاكم بأمر الله، ص ٣٤

وتوالى عطف الخليفة العزيز بالله على الذميين خاصة جماعة الملكانيين التي تتبعها زوجته فقد سمح للبطريرك القبطي إفراهام بإعادة كنيسة أبي سيفين المخربة بظاهر الفسطاط ورفع عيسى بن انسطورس المسيحي.

إلى كرسي الوزارة ، كما عين منشا اليهودي والياً على الشام فاظهر هؤلاء الذميون ميلهم إلى بني ملتهم مما أدى إلى كراهية المصريين لهم وزيادة سخطهم عليهم وكتبوا شكاوى إلى الخليفة العزيز بالله مما دعاه إلى القبض على هذين الوزيرين اليهودي والنصراني وأمر برد الدواوين والأعمال إلى الكتاب المسلمين وعين القضاة للإشراف على أعمالهم في جميع أنحاء الدولة ولكن ما لبث أن أعيد عيسى بن نسطورس إلى منصبه بشفاعة ست الملك فقد كانت تربطها به علاقة طيبة ودفع نظير ذلك ثلاثمائة ألف دينار حملها إلى الخزانة واشترط عليه استخدام المسلمين في دواوينه وأعماله، ولم تتوقف رعاية الأميرة ست الملك لعيسى بن نسطورس عند هذا الحد بل استمرت في عطفها وحمايتها له في عهد أخيها الخليفة الحاكم بأمر الله مما جعله يقلده ديوان الخاصة مما أدي إلى حفظ حياته وإعادته إلى مركز الوساطة [١]

وكان لست الملك أثر بارز في توجيه سياسة الخليفة العزيز بالله خاصة نحو أخوالها النصارى فكانت كلما هبت عواصف السخط والاضطهاد عليهم تدخلت لتلطيف الأجواء وإزالة الظلم عنهم وإيجاد روح التسامح لما عرف عنها من التسامح الديني، واستمرت في تلك السياسة الطيبة تجاه النصارى حتى توفي أبوها وكانت قد بلغت السادسة والعشرين من عمرها [٢]

---

[١] يحيى بن سعيد (ت: ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٥ م) ، صلة تاريخ سعيد بن البطريق المسمى صلة تاريخ اوتيخا ، بيروت- ١٩٠٩ م ، ج ١ ، ص ١٦٤ ؛ تامر ، عارف ، الحاكم بأمر الله واسرار الدعوة الفاطمية ، مصر – لا –ت ، ص ٨٧ عنان ، تراجم ، ص ٣٥.

[٢] ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٣ ، حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٠٢ - ٢٠٤

المبحث الثاني

اولا: دور ست الملك في عهد الحاكم بأمر الله

في الداية يشير ابن القلاني (١) إي تولي الحاكم بأمر الله الحكم بعد وفاة أبيه العزيز بالله وتولى تدبير أمور البلاد في البداية خادمه ومربية برجوان ونال هذا الرجل ثقة العزيز بالله فأوصاه برعاية ابنه والحفاظ على ملكه من بعده، ونجح هذا الرجل في إفساد خطة الأميرة ست الملك لما حاولت إبعاد أخيها عن حكم البلاد وتعيين ابن عمها عبد الله مكانه نظراً لمحبتها له ورضاها عنه، فقام برجوان بالقبض عليها وحملها مع ألف فارس إلى القاهرة ودعا الناس إلى مبايعة الحاكم وحلفهم له على الطاعة وذلك في رمضان سنة ٣٨٦ هـ (٢)

١. دور الأميرة ست الملك في السياسة الداخلية:

وفي بداية عهد الحاكم بأمر الله حرصت است الملك على تقديم النصح لأخيها الذي تولى الخلافة صغيراً وقامت بدور كبير في تدبير شؤون البلاد وتوجيهها فهي لم تكن بعيدة عن الأحداث السياسية ولكنها على ما يبدو كان لها كيان مستقل فكانت تمده بحسن رأيها وحسن سياستها، وتسهر على سلامة ملكه ، وكان الحاكم يتقبل مشورتها ويعرض عليها بعض الأمور الخاصة بالسياسة الخارجية ليأخذ برأيها، ونظراً لشخصيتها المتميزة جعلت بعض المحيطين بما يلجؤون إليها للشكوى من أخيها في بعض الأحيان مما جعلها تقوم بدور الوساطة

(١) عارف تامر ، المرجع السابق ، ص ٣٥ ، حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٦٤٦
(٢) ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤٤

لصالح البلاد، كما كان لها أعوان خارج البلاد في الأقاليم التابعة للخلافة الفاطمية يكتبون إليها ليعرفوها بأحوال الولاة [١]

وكانت العلاقة بين الأميرة ست الملك وأخيها الخليفة الحاكم بأمر الله تتسم بطابع المحبة والمودة الوثيقة ومما يدل على ذلك أنها أهدت إليه ثلاثين فرسا وستا وعشرين بغلة وخمسين خادما وأنواعا كثيرة من الطيب وبستان من الفضة ، وكان ذلك في سنة ٣٨٧ هـ وأقطع الحاكم بأمر الله أخته ست الملك إقطاعا مبلغه مائة الف دينار منها ضياع في الصعيد وأسفل الأرض ، في سنة ٣٩٠ هـ [٢].

وفي بداية حكم الحاكم بأمر الله زاد نفوذ الحسن بن عمار الوزير المشرف على شؤون الدولة خاصة بعد وفاة العزيز بالله وحاول إعادة نفوذ المغاربة خاصة نفوذ قبيلة كتامة الذي كان قد تضاءل لاعتماد العزيز بالله على قوة المشارقة وذلك من منطلق حرصه على إعادة التوازن للدولة وحاول ابن عمار إبعاد المشارقة سراً واحدا بعد الآخر ، بالرغم من معارضة ست الملك أخت الخليفة والتي كانت تتبع سياسة والدها العزيز بالله بالإبقاء على الحالة الراهنة وعمل توازن بين الفرق في الدولة وعدم سيطرة إحداها على كافة أمور الحكم والإدارة [٣]

حاول برجوان الصقلي بعدما أدرك ما يتهدده هو وجماعته من المخاطر على يد ابن عمار الاستعانة بمنجوتكين وقواته من الشام لمواجهة مؤامرة ابن عمار ، ولكن ابن عمار واجه ذلك بالإعلان على خروج منجوتكين على طاعة الخليفة الحاكم بأمر الله وأن بلاد الشام لم تعد تابعة للدولة الفاطمية وأنه يستعد للزحف على مصر فلابد

---

(١) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤٤ ، ناريمان عبد الكريم : المرأة في مصر ص ١٩٦ .
(٢) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ١، ص ٦١ ، محمود عبد الله : الحاكم بأمر الله ، ص ٢١٣ ، ناريمان عبد الكريم : المرأة في مصر ص ١٩٦ .
(٣) المقريزي، تقي الدين احمد بن علي المصدر السابق، ص ١٥-٣٥

من تأديبه، وبالفعل جهز ابن عمار جيشا من المغاربة وزحف قاصداً بلاد الشام والتقي بمنجوتكين في عسقلان ودارت بين الطرفين معارك طاحنة انتهت بهزيمة منجوتكين ، ولكن ابن عمار خضع لإرادة ست الملك صاحبة النفوذ الكبير في ذلك الوقت والتي أجبرته على إصدار أمر بالعفو عن منجوتكين وإعادة الاعتبار إليه نظراً لأن هذا القائد قد حقق الكثير من الانتصارات على الروم في عدة معارك ، ومن الملاحظ أن الخليفة الحاكم بأمر الله لم يبد اعتراضا على ذلك واستجاب المشورة ورأي أخته ست الملك مما يدل على استمرار العلاقات الطبيبة بينما في تلك الأوقات [١]

ولكن سرعان ما بادر ابن عمار إلى عزل أعوان برجوان بعد عدة سنوات من مناصبهم وتضاءل نفوذ برجوان والمشارقة بينما علا نجم كتامة وبالغ رجاله في الاستئثار بالمناصب مما دعا برجوان إلى انتهاز الفرص لأخذ الثأر وبدا يدس الدسائس ويؤلب الزعماء الناقمين خاصة المصريين حتى تمكن من حشد جبهة معارضة قوية ضمت منجوتكين وابن الصمصامة وغيرهما وبتحريض من برجوان ثار هؤلاء في القاهرة سنة ٣٨٧ هـ فاضطر ابن عمار إلى الخروج من القاهرة بعد عجزه عن إخماد الفتنة، وهنا قبض برجوان علي زمام الأمور ولكنه خاف من عواقب الأمور وتحسبا لعودة المغاربة من جديد على مسرح الأحداث فارض ابن عمار على الصلح ورد إليه اعتباره وولاه منصبه، ويذكر أن هذا الأمر تم بناء على رغبة ست الملك أخت الخليفة والتي سبق أن رفضت سيطرة فرقة واحدة على أمور البلاد ورغبت في إحداث توازن بين الفرق ، ولكن ما لبث أن اقتنع الخليفة

[١] المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج ٢، ص ١١ ، عارف تامر : الحاكم بأمر الله ، ص ٣٦.

الحاكم بأمر الله برأي أخته ست الملك وقام بعزل ابن عمار وأمر بأن يحل برجوان مكانه في ٢٧ رمضان من نفس العام بعد أن رأي فساده وسوء تدبيره وفساد المغاربة الكتاميين [١].

واستمرت العلاقات الطيبة بين الخليفة الحاكم بأمر الله وأخته الأميرة ست الملك وظلت تسدي إليه النصح وأكان يستجيب لها ولما رأت سيطرة برجوان على مقاليد الحكم في البلاد واستهانته بالخليفة في بعض المواقف وإهماله والتنكر له والاستخفاف به ، اتخذت قراراً بقتله وتخليص الدولة من شروره، فأشارت على الخليفة باستدعاء الحسين بن جوهر الصقلي قائد القوات السابق وإعادته إلى منصبه بعد أن أبعده برجوان فاستجاب لذلك ونفذ ما طلبته ست الملك [٢]

ولا شك أن استدعاء الحسين بن جوهر وإعادته إلى منصبه كانت بداية خطة أعدتها الأميرة ست الملك بالاتفاق مع الحاكم بأمر الله للتخلص من برجوان لما رأت فساده وطغيانه في أمور البلاد وإبعاده للخليفة الحاكم واستخفافه به كما سبق أن حذرها هي وأمها من التدخل في شئون الدولة والاتصال بأحد من الرجال المخلصين للأسرة الفاطمية فكان لابد من التخلص من برجوان لهذه الأسباب ولغيرها وقتله في سنة ٣٩٠ هـ ، وبعد نجاح الخطة ومقتل برجوان قام الخليفة الحاكم بأمر الله بطمأنة أخته الأميرة ست الملك وأمه ثم أمرهما بالعودة مرة أخري إلى القصر وكانا قد غادراه خوفاً على نفسيهما من برجوان وغيره من المتآمرين[٣].

---

(١) عارف تامر، الحاكم بأمر الله، ص ٣٧

(٢) المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج ٢، ص ١٣ ، عارف تامر : الحاكم بأمر الله ، ص ٣٨-٤٠

(٣) ابن الصيرفي، القانون في ديوان الرسائل، ص ٥٦ - ٥٧ ، السعيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ مصر الإسلامية، ص ١٨٦ .

وفي عهد الحاكم بأمر الله زاد نفوز النصارى الأقباط من طائفة الملكانيين لأن والدة الخليفة كانت من هذه الطائفة وقد سبقت الإشارة إلى تعيين أخويها أرسطيس بطريركا على بيت المقدس وأرسانيوس بطريركا على القاهرة ومصر ثم رقي الأخير وأصبح بطريركا على الملكانية بالإسكندرية في عهد الحاكم بأمر الله ، ولم يتوقف الخليفة من إظهار العطف على طائفة الملكانية عند هذا الحد بل أظهر تأييدا لهم في الصراعات التي كانت تجري بينهم وبين طائفة اليعقوبية أو الأرثوذكسية حتى كان البعض يتهمه بالتحيز لاخواله وإمدادهم والانتصار لهم في أعماله التدميرية العنيفة وكان للأميرة ست الملك دور في ذلك [١]

وقد سبقت الإشارة إلى لجوء عيسي بن نسطورس إلى الأميرة ست الملك لتشفع له عند الخليفة الحاكم بأمر الله فقام بتوليته ديوانه الخاص ورد إليه اعتباره ، وسمح للنصارى بتولي بعض الوزارات مثل الريس فهد بن إبراهيم وأبو نصر بن عبدون وزرعة بن عيسى بن نسطورس ثم أطلق عدة مراسيم سمح فيها بحرية الشعائر الدينية لليهود والنصارى وأعاد إليهم ما أخذ من كنائسهم وأديرتهم.

ولا شك أن مثل هذه الأعمال كانت تقف من خلفها ست الملك وكان لها دور واضح نظراً لعلاقتها الطيبة برجال الحكم والإدارة من النصارى خاصة من طائفة الملكانية واستمراراً لسياسة التسامح الديني التي اتبعتها الدولة الفاطمية تجاه أهل الذمة من قبل خاصة منذ عهد الخليفة العزيز بالله [٢] . ومن الجدير بالذكر أن الخليفة الحاكم بأمر الله تراجع عن سياسته في التسامح مع النصارى خاصة الملكانية نظراً لإسرافهم في الاستئثار بالسلطات واستغلالها وإقصائهم المسلمين فضلاً عن إكثارهم من إقامة الكنائس والأديرة مما دعاه

---

[١] ابن الصيرفي، القانون في ديوان الرسائل ، ص ٢٥٨ ، عارف تامر : المرجع السابق . ص ٤٠ - ٤٢

[٢] حسن إبراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٠٤ ، عارف تامر : المرجع السابق ص ٨٨

للقيام بعدة إجراءات ففي سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧م أمر بهدم كنيسة قمامة (القيامة) والتي كان يحج إليها الروم البيزنطيون فأدى ذلك الأمر لتوقف تجارة الفاطميين مع البيزنطيين في سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٣م ، وفي سنة ٤٠٠ هـ / ١٠١٠ م أمر الحاكم بأمر الله بهدم دير القصير بالمقطم والذي كان يأوى إليه أرسانيوس بطريرك الإسكندرية وخال الأميرة ست الملك ونهب جميع ما فيه، وبعد أشهر قلائل قتل أرسانيوس نفسه ولا يستبعد تدخل الخليفة في هذا الحادث ، وفي ٤٠٣ هـ / ١٠١٣ أمر الخليفة بهدم جميع الكنائس المصرية ووهب ما فيها ومالها من أملاك الجماعة من الصقلية والسعدية [١] .

وعمل الخليفة الحاكم بأمر الله على الحفاظ على العلاقة الطيبة بينه وبين أخته الأميرة ست الملك ففي سنة ٤٠٤ هـ / ١٠١٤م أمر بقطع يدي نجيب الدولة أبي القاسم على بن أحمد الجرجاني خادم أخته والمشرف على دواوينها والذي تركها بدون رضاها ورضاه وعمل عند غبن قائد القواد ثم حاول استرضاءها وكتب إليها ولكنها شكت من سلوكه فأرسلت إلى أخيها الحاكم بأمر الله فأمر بقطع يديه وقد اشتد غضبه من هذا الرجل لإقدامه على هذا الأمر [٢]

٢.دورست الملك في السياسة الخارجية

ومن الأمثلة الدالة على تدخل الأميرة ست الملك في السياسة الخارجية أنه حدث في سنة ٣٩٣ هـ أن نجح أبو طاهر محمود المعروف بابن النحوي وابن العداس في إقناع الخليفة الحاكم بأمر الله في التخلص من الوزير فهد بن إبراهيم وتوفير ستة آلاف كان يأخذها وأوغرا صدره تجاهه ووافقهما على رأيهما ، كما نجحا في نيل

---

(١) حسن إبراهيم، المرجع السابق، ص ٢٠٤

(٢) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج ١، ص ١٧، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية . ص ١٠٢، عب المنعم ماجد: الحاكم بأمر الله ، ص ١٣٤ ، محمد عبد الله : الحاكم بأمر الله، ص ١٣٩ .

ثقته فأرسل ابن النحوي إلى الشام وولي ابن العداس النظر في البلاد، ولكن ابن النحوي أساء معاملة أهالي الشام ولما وصل إلى الرملة قبض على العمال والمتصرفين فيها وألزمهم بدفع مائتي ألف دينار واستخدم في ذلك السوط والعصا كما أرسل أصحابه ونوابه إلى دمشق وطبرية والسواحل وطالبهم بأخذ العمال والمتصرفين ومصادرتها ، فضاق الناس من كثرة مصادراته ومطالبته لهم بالمال [١] وكان من جملة العمال رجل نصراني مرتبط بعلاقة طيبة بست الملك أخت الحاكم فكتب إليها يستغيث بها ويشكو إليها مما نزل بالناس ببلاد الشام من الظلم والعسف والجور من ابن النحوي، فلما وصل الكتاب إليها وعرفت ما به عرضته على الخليفة الحاكم المشاورته في تلك الأمور، ثم أخبراته بمدى كذب ابن النحوي وابن العداس وتحايلهما على الوزير فهد وقتله مساعدة للحسين بن جوهر مما أدي إلى فساد البلاد وتخوف الناس منك، كما أوضحت له أيضاً خطأ أخذ أموال الأهالي بالمصادرة ولم يسبق أن فعل ذلك أحد من آبائك فأنكر الخليفة الحاكم هذا الأمر وأكد أنه لن يسمح لأحد منهما بفعل هذا وكتب إلى وحيد والي الرملة سراً بالقبض على ابن النحوي وإرساله إليه ولكن ست الملك راجعته في ذلك مما دعاه إلى أخذ الكتاب وزاد عليه بقوله وتضرب عنقه فنفذ والي الرملة ذلك وقطعت رأسه وأرسلت إلى مصر [٢].

وقد سر الناس بهلاكه، ولما وصل الرأس إلى الحاكم أحضر أخته ست الملك فأراها إياه فدعت له وشكرته على ما فعله ، كما أمر ابن مسعود بأن يأخذ ابن العداس وتضرب عنقه، وهكذا استجاب الخليفة.

---

[١] ابن الصيرفي، ديوان الرسائل، ص ٦٧، المقريزي: اتعاظ الحنفا ، ج ٢، ص ١٠٢

[٢] ابن القلانسي، زيل تاريخ دمشق، ص ٦٠

الحاكم لرأي ومشورة أخته ست الملك في التخلص من ابن النحوي وابن العداس مما يدل على قوة العلاقة بينهما في تلك الفترة الزمنية [١]ومن الأمور الدالة أيضاً على تدخل ست الملك في السياسة الخارجية للدولة الفاطمية في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله ، أن المغرب ظل مرتبطاً بالود التقليدي للدولة الفاطمية ففي سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ هـ ذهب باديس إلى طرابلس الغرب واستولي عليها وأخرج منها زناتة عدوة الفاطميين مما دعا الحاكم بأمر الله في سنة ٤٠١ هـ / ١٠١٠ م أن يرسل هدية إلى باديس وابنه المنصور فتلقاها بالفرح والسرور ودق الطبول ، وفي سنة ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م وصلت السجلات من الحاكم بأمر الله بإضافة برقة وأعمالها إلى باديس ، وفي سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م أخرج باديس بدوره هدية إلى الحاكم بأمر الله ، كانت تحوي الأفراس الأصيلة والسروج المحلاة وأحمال الخز والسمور والأقمشة السوية المذهبة فضلاً عن عشرين وصيفة وعشرة من الصقلية ، وكانت ترافق هذه الهدية هدية أخري من السيدة أم ملاك أخت باديس إلى السيدة ست الملك أخت الحاكم ، على أن هذه الهدية راحت نهبا لعرب برقة ، على أن الخليفة الحاكم رد عليها هذه الهدية المنهوبة في نفس السنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م بهدية أخري احتوت على خلع سنية وسيف مكلل إلى جانب تشريف لولي العهد المنصور بن باديس [٢] .

ومن الأمور الأخرى التي عملت على توثيق أواصر الصداقة بين الدولة الفاطمية وبلاد المغرب في ذلك العهد ، مجيء أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق شاعر المغرب وقد وفد على مصر أيام الحاكم بأمر الله غير مرة موفداً من بلاط المغرب إلى البلاط المصري ليعمل على توثيق الروابط بينهما وقد لقي الخليفة

---

[١] ابن القلانسي، المصدر السابق، ص ٦٠ - ٦١.
[٢] ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص ٦١

الحاكم وأخته الأميرة ست الملك وافر الإكرام والرعاية وأشاد بمصر ومحاسنها في عدة قصائد رائعة ، وقد كانت وفاته سنة ٤١٨ هـ [١]

ولا شك أن ذلك بمثابة دليل على تدخل الأميرة ست الملك أخت الحاكم بأمر الله في أمور السياسة الخارجية خاصة بلاد المغرب ورغبة حكامها في كسب ودها نظراً لما لها من تأثير واضح ورأي مقبول لدى الخليفة [٢]

٣. توتر العلاقات بين الأميرة ست الملك والخليفة الحاكم بأمر الله وأسبابها .

ومع تطور الأحداث ومرور السنين حدث تغير في العلاقات بين الخليفة الحاكم بأمر الله وأخته الأميرة ست الملك فقد انفرد الخليفة بالسلطة واندفع في تيار العنف والإسراف في القتل وإصدار الأحكام والقوانين المتناقضة ، فكانت ست الملك تعترضه وتنهاه وتسدي إليه النصح وتحذره من العواقب وتقول له : احذر أن يكون خراب هذا البيت على يديك فكان يغضب لتدخلها ويردها بغليظ القول واللوم ويحاول إبعادها ويمنعها من التدخل في شؤون الحكم الإدارة [٣]

ومن الأعمال الأخرى التي زادت من توتر العلاقات بين الخليفة الحاكم بأمر الله وأخته ست الملك وباقي أفراد أسرته إقدامه في سنة ٣٩٩ هـ على القبض على جميع أملاك زوجته وأمه وأخته وخواصه وجواريه وسائر إقطاعات من وأموالهن بالبلاد ثم عاد وقام بردها جميعا إلى أصحابها[٤].

---

(١) عارف تامر، المرجع السابق ، ص ٦٤ ، عبد المنعم ماجد : الحاكم بأمر الله ، ص ١٦٣ ، حسن خضيري : علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب ، ص ٥٤

(٢) محمد عبد الله، الحاكم بأمر الله ، ص ٣٦٩ .

(٣) عارف تامر، المرجع السابق ، ص ٦٤ ، عبد المنعم ماجد : الحاكم بأمر الله ، ص ١٦٣ ، حسن خضيري : علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب ، ص ٥٤

(٤) ابن خلدون، تاريخه، ج ٤ ، ص ٦١ ، محمد عبد الله عان : الحاكم بأمر الله ، ها ص ٢١٣

ومن الأمثلة الأخرى التي تدل على توتر العلاقات بين الخليفة الحاكم بأمر الله وأخته الأميرة ست الملك ففي سنة ٤٠٤ هـ / ١٠١٤ م خرج الخليفة على أسس العقيدة الإسماعيلية والتي أشترط النص في الإمامه على الابت الأكبر وذلك عندما جعل ابن عمه عبد الرحيم بن إلياس وهو ابن امرأة مسيحية وليا لعهده.

و نقش اسمه على السكة وكتبه على الطراز ، ويدو أنه اضطر إلى ذلك بعد أن قام في أول هذا العام بإخراج جماعة من حظاياه وأمهات أولاده من القصر ومن بينهم أم ولده أبي الحسن على (الظاهر (وولده نفسه مما جعل أخته ست الملك تأخذهما إلى قصرها خوفاً عليهما من بطش الحاكم وظلا معها حتى مقتل الخليفة [١] .

وفي سنة ٤٠٥ / ١٠١٤م أمر الحاكم بأمر الله يقتل القاضي مالك بن سعيد الفارقي لاتهامه بموالاة ست الملك وتدخله في شئون الدولة بتحريضها وكان الحاكم قد اشتد غضبه من هذا الأمر وبعد التخلص من القاضي استدعى أبناء القاضي وحاول إرضاءهم ولم يتعرض لشيء من تركة أبيهم وأمر ابنه أبا الفرج بأن يحل محله وأقره على إقطاعه والذي يبلغ مبلغه في السنة خمسة عشر الف دينار[٢].

كانت الأميرة ست الملك تراقب تطور الأحداث في جزع وخوف شديد و تخشى أن تتطور الأمور إلى حد العاصفة وقيام ثورة ضد أخيها الحاكم بأمر الله ، فيقع على عاتقها حمل عرش الحكم ومستقبل الأسرة كلها وكان يرفض بشدة ما توجهه إليه أخته من نقد شديد من سوء تصرفاته ومسلكه في البلاد ، ثم سرعان ما قام الحاكم بأمر الله بتشديد الحجر عليها والمراقبة واتهمها بسوء سلوكها وفضائحها الغرامية وبتناوب العشاق عليها

(١) محمد عبد الله عنان، الحاكم بأمر الله ، ص ١٣٢ .
(٢) أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية ، ص ١٠٨ ، محمد عبد الله : الحاكم بأمر الله . ص ١٨٤

، وقال لها : يا فاجرة ما كفاك ما أنت فيه من صحبة الخدام الذين تعوفت بهم عن الرجال حتى تدخلي نفسك فيما لا يعنيك ؟ فو الله لا أفوزن بقتلك ، فعلمت أنه قاتلها لا محالة [١] .

وفي التهام ست الملك بهذه الفضائح أمر يخالف الحقيقة فهي امرأة تجاوزت عهد الشباب وأشرفت على الثانية والخمسين من عمرها فضلاً عن حزمها وتدينها كما كانت كثيرة الصلاة والصوم وتلاوة القرآن والبر والصدقة على المساكين ، إذن فمن غير المتوقع أن تنحدر هذه الأميرة الفطنة في كهولتها إلى مثل هذا السلوك المشين، فاتهام أخيها الحاكم بأمر الله لها بهذا الشكل لهو محض افتراء ومخالف للواقع ، والحقيقة أن الخليفة لم يتحمل المعارضة الشديدة التي شنتها أخته عليه وحاول الصاق التهم بها وتلويث سمعتها ووصل به الأمر إلى تهديدها بالقتل إذا ما حاولت التدخل في شؤون البلاد[٢].

وبالرغم من الخلافات التي حدثت بين الأميرة ست الملك وأخيها الخليفة الحاكم بأمر الله ، فلا ترجح ما ردده بعض المؤرخين من قيام الأميرة ست الملك بقتل أخيها الحاكم بأمر الله ، وساقوا أسباباً لذلك منها ادعاء الحاكم الإلوهية ، والتشنيع بلوك ست الملك واتصلال الأميرة بصفات الفطنة والحزم مما يحملها على اتباع هذا السبيل الدموي لتنقذ دولتها المشرفة على الانهيار، ثم تخلصها من شركاتها في الجريمة فقتلت كلا من ابن دواس والوزير خطير الملك [٣] . ولكن لماذا تقدم الأميرة ست الملك على اقتراف مثل هذه الجريمة وهي تعيش آمنة مطمئنة في قصرها الغربي في رغد وهناء يغمرها المال والجواهر فضلا عن تولي حراستها المئات من الجنود فوفر لها ذلك الأمن والأمان ، كما تهافت علي قصرها الوزراء وكبار رجال الدولة لنيل تأييدها وعطفها بالإضافة

---

(١) المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج ٢، ص ١٥ .
(٢) ابن أيبك، كثر الدرر، ج ١، ص ٣٠٠ - ٣٠١، محمد عبد الله عنان، الحاكم بأمر الله، ص ٢١٣
(٣) ابن ايبك، كبر الدرر، ج ١، ص ٣٠١، محمد عبد الله ،الحاكم بأمر الله ، ص ٢١٣ ، ص ٢٢٣ ، عارف تامر : الحاكم بأمر الله ، ص ١١٠

إلى غيرهم طمعاً في التقرب من الخليفة كما مر بنا أنها كانت . موضع عطف الحاكم وتبادل معها الهدايا وكان يسمع لآرائها ونصائحها في كثير من شؤون البلاد وأخيرا ما اتصفت به من صفات تجعلها توقن خطر الإقدام على قتل الحاكم [١]

ثانيا: ست الملك ودورها في عصر الخليفة الظاهر الإعزاز دين الله

فقد الخليفة الحاكم بأمر الله في شوال ٤١١ هـ / فبراير ١٠٢٥هـ وبعد مضي خمسة أيام اجتمع الجنود إلى أخته ست الملك وسألوها عن سبب تأخيره فأجابتهم بأنه سوف يأتي بعد غد فتفرقوا وبعثت الأموال إلى ابن دواس ليفرقها على الأمراء وللأولياء، ورتبت رسلا يمضون عنها إلى الحاكم ويجيئون منه إليها، وهكذا بدأ دورها بعد اختفاء الخليفة مباشرة وذلك بتكتمها على خبر موته وتطمينها للشعب على سلامة الخليفة حتى تحافظ على أمن البلاد [٢].

وفي أثناء ذلك اشتدت شوكتها وكف الناس عن السؤال عن اختفاء الخليفة وبعد مضي سبعة أيام من اختفاء الحاكم بأمر الله البست الحسن علياً ابن أخيها الحاكم أفخر الملابس وقد حضر الجنود في هذا الميعاد [٣] وقد رأوا أبا الحسن يخرج إليهم والوزير بين يديه وصاح يا عبيد الدولة مولاتنا تقول لكم هذا مولاكم أمير المؤمنين فسلموا عليه فقبل ابن دواس الأرض والقواد الذين أرسلت إليهم الأموال ودعوا له فتبعهم الباقون ومشوا معه ولم يزل راكبا إلي الظهر ونزل ولقب الظاهر الإعزاز دين الله [٤] .

---

(١) يحيي بن سعيد، التاريخ المجموع ، ج ٢، ص ٢٣٨ ، محمد عبد الله ، الحاكم بأمر الله ص ٢٢٣ ، عارف تامر : الحاكم بأمر الله ، ص ١١٠ - ١١١ .

(٢) أبن ايبك، كثر الدرر ، جـ ٦ ، ص ٣٠٠ - ٣٠١ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ، ص ١٨٦ . عبد المنعم ماجد : الحاكم بامر الله ، ص ١٧١

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج ٩، ص ٣١٩ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ، مج ٢ ص ١١٦

(٤) أبن الأثير،الكامل في التاريخ ، مج ٩ ، ص ٣١٩ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ج ٢ ، ص ١١٧

وكتبت الكتب إلى البلاد بمصر والشام والمغرب للإعلان بوفاة الخليفه الحاكم ومبايعة ابنه الظاهر وكانت الأميرة ست الملك قد أحضرت ابن دواس وطلبت منه أخذ البيعة للظاهر لإعزاز دين الله ابن الحاكم وأظهرته وعلى رأسه تاج جده العزيز وذلك قبل قدوم القواد والجنود ثم جمعت الأميرة ست الملك الناس ووعدتهم وأحسنت إليهم ورتبت الأمور ترتيبا حسنا وجعلت الأمر بيد ابن دواس ، وقالت له : إننا نريد أن نرد جميع أموال المملكة إليك ونزيد في إقطاعك ونشرفك الخلع فاختر يوما يكون ذلك فقبل الأرض ودعا، وعرف الناس هذه الأخبار ثم أحضرته وأحضرت القواد معه وأرسلت إليه خادما وقالت له قل للقواد هذا قاتل سيدكم واضربه بالسيف ففعل ذلك وأدارت الدولة بواسطة أعوانها ونكلت بكل من اعترض طريقها فقامت هيبتها عند الناس [١].

١. دور الاميرة ست الملك في السياسة الداخلية

وبعد إعلان تولية ابن الخليفة الحاكم أبو الحسن الملقب بالظاهر الإعزاز دين الله الخلافة وبحضور كبار رجال الدولة وكان ذلك في قصر الخلافة وقد تم ذلك في العاشر من ذي الحجة بعد مرور سبعة أيام من اختفاء الحاكم بأمر الله، وقد ذكر البعض أن هذه المدة كانت واحدا وأربعين يوماً وهذا معناه أن ست الملك ظلت تحكم البلاد وتدير شئونها فترة ليست بالقصيرة قبل إعلان وفاة الحاكم وتولية الظاهر وقد ضربت بذلك مثالاً رائعاً في الحفاظ على دولة آباتها [٢]

بعثت الأميرة ست الملك إلى عامل تنيس باسم الخليفة الحاكم بأمر الله أن يحمل ما عنده من أموال استحقت عليه وكانت عن ثلاث سنوات مضت وكان الخليفة قد أمر بتركها عنده فحملت إليها بعد وفاته كما جمعت

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، مج ٩، ص ٣٢٠ ، المقريزي اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ص ١١٧ .
(٢) يحيي بن سعيد، تاريخ الانطاكي ، ج ٢، ص ٣٦٦ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ١١٧

أهل مصر وخطبت فيهم ووعدهم بحسن السير والسلوك والعدل بينهم ، ثم سمحت للنساء بالخروج من منازلهم والتصرف في أمورهن كما أعادت لهن بعض الأموال والجواهر والإقطاعات كان الخليفة الحاكم قد استولي عليها كما قطعت بعض الرواتب والأرزاق لم تكن هناك ضرورة لاستمرارها حفاظا على مالية البلاد ، وقبضت على جميع الاقطاعات التي أقطعها الحاكم وعادت المكوس إلى ما كانت عليه قبل تسامح الحاكم بها واستخرجت من أوقاف الكنائس ما أمر الخليفة في سجلاته بالمسامحة به من الخراج والأعشار والواجبات ، فضلاً عن تخلصها من بعض العناصر التي دارت حولها الشبهات بشأن مقتل الحاكم بأمر الله أمثال ابن دواس والوزير خطير الملك ، ولعل هذا الأمر كان ضرورياً لاستخلاص الحكم للخليفة الصغير [١] وكان عمر الخليفة الفاطمي الظاهر عند توليه الحكم سبعة عشر عاماً عند وفاة والده الحاكم بأمر الله وكانت عمته ست الملك هي التي تولت تربيته والإشراف على تعليمه وتثقيفه ، وبذلت عناية كبيرة في سبيل إعداده للملك والخلافة لهذا تخرج وهو يحمل في طيات نفسه أكبر قدر من المثالية والأدب [٢] .

ولما عاد الناس بعد فقد الحاكم إلى التظاهر بشرب النبيذ وسماع الأغاني والانغماس في الملذات فافتتن الخليفة الظاهر بذلك وراح يذهب إلى دار الوزير خطير الملك والتي كانت تقام بها مثل هذه الأشياء فضلاً عن سماع الأغاني، فأنكرت عمته ست الملك ذلك خوفاً عليه من حيلة تتم عليه، ولأنها كانت تخشى من نفوذ خطير الملك وتأثيره عليه ومن انقياد الظاهر إليه وشغفه بملازمته فدبرت مصرعه وقتل في سنة ٤١٢ هـ [٣]

---

(١) يحيي بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، جـ ٢ ، من ٣٧٣ ، المقريزي : اتعاظ الخنف جـ٢ ، ص ١٢٦ - ١٢٨ ، ناريمان عبد الريم : المراه في مصر ، ص ٢٠٠ – ٢٠١ .

(٢) عارف تامر ، الحاكم بامر الله ، ص ١٤٨ .

(٣) يحيي بن سعيد ، تاريخ الإنطاكي ، ج ٢، ص ٣٧٤ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ١٨.

أما عن ولي العهد عبد الرحيم بن إلياس الذي كان ولي العهد من قبل الخليفة الحاكم في سنة ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م ودعي له على سائر الأقاليم التابعة للخلافة ونقش اسمه على السكة وأخذت له البيعة، فإن ست الملك أرسلت إلى الشام من استدعي عبد الرحيم للمثول أمام الخليفة الجديد ومبايعته بالإمامة والخلافة ولكنه رفض الطلب وحدثته نفسه بالعصيان والاستئثار ببلاد الشام ورخص للناس شرب الخمر والملاهي ، فما كان من الأميرة ست الملك إلا أن أرسلت علي بن داود أحد الأمراء الكتاميين إلى دمشق بأوامرها محملاً بالهدايا إلى الأمراء والقواد ووجوه الجند للقبض على ولي العهد عبد الرحيم فسارعوا إلى ذلك لكراهيتهم له وحمل مقيداً ومعه أهله وعدي به إلى دمياط واعتقل بها مدة ثم رحل إلى مصر ، حيث حبس في القصر، وظل محاطا برعاية الخليفة الظاهر حتى أدركته الوفاة ، وقيل إنه مات مسموماً ، وليس معني ذلك أن ست الملك قد تدخلت في أوامر الخليفة الحاكم بالنسبة لولي عهده ، ويذكر أن الخليفة الحاكم قبل وفاته غضب على ولي عهده لأنه كان يعارض مذهبه الجديد كما أنه كان مكروهاً ولم تكن له صفات الخليفة الحاكم في البساطة والتقشف ولعله عينه خارج البلاد واليا علي دمشق عام ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م للتخلص منه [١]

وقامت الأميرة ست الملك عمة الخليفة الظاهر بتدبير المملكة أحسن تدبير فبذلت في العطاء للجند وساست الناس أحسن سياسة ووجهت الخليفة إلى إلغاء ما كان الحاكم قد أصدره من أوامر وقيود وإجراءات شاذة ، وأصدر أمانا لأهل الذمة أعلن فيه حريتهم في عقائدهم وشعائرهم وأنه لا إكراه في الدين وأن من أحب منهم أن يدخل في الإسلام اختيارا وهداية من الله فليفعل مقبولاً مسرورا ومن آثر البقاء على دينه فله ذمته ، وأعاد للأقباط احتفالاتهم الدينية خاصة الاحتفال الكبير بليلة الغطاس التي كان المعز أمر بإبطالها لما كان يجري

[١] يحيي بن سعيد، المصدر السابق ، ، ج ٢، ص ٣٦٨ ، عارف تامر : الحاكم بأمر الله، ص ١١٨ ، ناريمان عبد الكريم : المراه في مصر ، ٢٠٢

فيها من منكرات ، كما لم يتدخل في الإجراءات الخاصة بانتخاب البطاركة وترك الأمر للقساوسة والأساقفة في الكنيسة ، وكان دور ست الملك يقتصر فقط على مباركة تعيين البطريرك الجديد وتستقبله في قصرها وتقدم له الهدايا والتحف التي كانت لديها من خالها البطريرك الأسبق إرساني (أرسانيوس) كما سمحت للنصارى ببناء الكنائس ، وعلي الرغم من ذلك كانت تحصل على الرسوم والخراج المقرر على الكنائس والتي أمر الخليفة الحاكم من قبل بالمسامحة فيه ، وهذا يدل على تدبيرها لأمور الدولة بمهارة كبيرة وحنكة فائقة حيث وضعت مصلحة الخلافة فوق كل اعتبار ، وأدي ذلك بطبيعة الحال إلى انتظام مالية الدولة وتحسين مواردها [١]

٢. دور الأميرة ست الملك في السياسة الخارجية

أما فيما يتعلق بالسياسة الخارجية للبلاد فإن جميع المكاتبات كانت تصدر عن ست الملك باسم الخليفة الظاهر ، لذا أرسلت إلى ولاة بلاد الشام تعلمهم بوفاة الخليفة الحاكم وتولية الخليفة الظاهر لأخذ البيعة له في هذه الأقاليم ، كما استطاعت ست الملك أن تدبر أمور الحكم والسياسة بمنتهي البراعة خاصة لولاة الأقاليم الأخري التابعين للخلافة فاستخدمت الحيلة وتأليب رجل على آخر للتخلص ممن يريد أن يشق عصا الطاعة على الخلافة الفاطمية ، ولقد حدث ذلك لولي حلب فاتك الوحيدي عندما عظم شأنه واستفحل أمره وعصى الخليفة الحاكم بأمر الله وضرب السكة باسمه ودعا لنفسه على المنبر فمات الخليفة الحاكم عقب ذلك ، فعملت الأميرة سبت الملك على اتباع الحيلة والمكر معه فلم تظهر له العداء بل على العكس عملت على إرضائه وأرسلت إليه الخلع والخيول محملة بالمراكب حتى استمالت قلبه وجعلته يطمئن إليها ، ثم استخدمت غلامه بدر وبذلت له

---

[١] يحيي بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ، ج ٢ ص ٢٧٢ ، ناريمان عبد الكريم ، المرأة في مصر ، ص ٢٠٥ ، أحمد حسين : موسوعة تاريخ مصر ، ج ٢، ص ٥٦٢ ، أبو المحاسن : النجوم الزهرة ، جـ ٤ ، ص ٢٤٨

العطاء ليقضي عليه ، واستطاع أن يفعل ذلك باستخدام غلام هندي لفاتك ثم كتب لست الملك يعلمها بما جرى ، فبعثت له بالخلع ووهبته جميع ما خلفه الوالي وقلدته ولاية حلب [١].

أما بالنسبة للعلاقات بين الخلافة الفاطمية ودولة الروم البيزنطية فمرت بعدة م راحل نظراً لمحاولات البيزنطيين المستمرة لاسترداد بلاد الشام ولقد حدثت مواجهة بين الجيشين في عهد الخليفة العزيز بالله انتصر فيها جيش الخليفة بعد وفاته ، ثم عقد برجوان وصي الخليفة الحاكم بأمر الله الصلح مع الروم ٣٨٩ هـ / ١٠٠٠ م لمدة عشر سنوات ولكن بعد فقد الخليفة الحاكم بأمر الله خشيت الأميرة ست الملك من باسيل الثاني ملك الروم البيزنطيين أن ينقض الصلح خاصة أنه هدد بقطع العلاقة بينهما وهدد بمهاجمة الفاطميين، فسارعت ست الملك لاسترضاء باسيل الثاني فأرسلت إليه نقفور بطريرك بيت المقدس على رأس سفارة ليطلعه على عودة الكنائس وتجديد كنيسة القيامة المقدسة ببيت المقدس وسائر البيع في جميع بلاد مصر والشام ورجوع أوقافها إليها وما أقدمت عليه من إجراءات لتحرير النصارى وحماية أموالهم وأرواحهم كما طلبت منه أن يعمل على إعادة التجارة مع بلادها مرة أخرى بعد توقفها ، وكانت كل هذه الأمور عرضها البطريرك على باسيل الثاني مشافهة من غير مكاتبة مما جعل الملك البيزنطي يعدل عن نقض الهدنة ، وهكذا كانت الحكمة وبراعة الأميرة ست الملك في إدارة أمور البلاد أثرها الواضح في تجنيب الدولة الفاطمية ويلات الحروب مع البيزنطيين وتأمينا للحدود الشمالية فضلاً عن إعادة التجارة معها مرة أخري [٢].

---

(١) المقريزي ،اتعاظ الحنفا ، ج ٢، ص ١٣٠ ، ناريمان عبد الكريم : المراه في مصر ص ٢٠٣

(٢) يحيي بن سعيد ، تاريخ الانطاكي ،ج ٢، ص ٣٨٧ ، عبد المنعم ماجد : الحاكم بأمر الله ، ص ١٣٤ ، ناريمان عبد الكريم : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

أعطي الخليفة الظاهر الإعزاز دين الله الشباب حقه من الحرية والانطلاق والاستمتاع تاركاً لعمته الأميرة ست الملك إدارة شؤون الدولة وقد نجحت بالفعل في أداء المهمة وأدارت دفة الأمور بمنتهي القيرة والحزم والذكاء ، وفي تلك الفترة أصدر اخليفة الظاهر لإعزاز دين الله مرسوما سماها فيه " نائبة التدبير " ولم تستمر طويلاً إذ سرعان ما وافتها المنية في سنة ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م عن عمر ناهز الخامسة والخمسين ، وبعد وفاتها بدأت الأحوال العامة للدولة الفاطمية سواء الداخلية أو الخارجية في التدهور مما أزعج الخليفة الشاب وجعله في وضع حرج ومضطرب لا يجد من على ساحة الدولة من يسد له هذا الفراغ [١].

وهكذا ماتت الأميرة ست الملك بعد أن دبرت أمور الدولة بعد فقد أخيها الحاكم بأمر الله خمس سنين وثمانية أشهر أعادت فيها للبلاد الأمن والأمان وساست الدولة أحسن سياسة ووطدت أركان الحكم لابن أخيها الخليفة الظاهر، وملأت الخزائن بأصناف الأموال وقلدت الأكفاء جلائل الأعمال وتركت خلفها الكثير من المال والجواهر والقماش والتحف مما لا يحصى لكثرته وكان من بين ما تركته أربعة آلاف جارية بيضاء وسوداء مولدات وغير ذلك [٢].

(١) عارف تامر ، الحاكم بأمر الله ، ص ١٥٠ .
(٢) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ص ١٧٤ ، أحمد حسين : موسوعة تاريخ مصر ج ٢ ، ٥٦

الخاتمة

اختلفت نظرة الاسلام الى المرأة وكرمتها وانسانيتها عن ديانات وافكار الشعوب والامم السابقة من حيث الحقوق والواجبات فقد ابرز دورها وحذف ما علق بصورتها من امتهان وعبودية وملأ قلبها ايماناً فاصبحت منبتاً طيباً لامة عظيمة فهي ام البشرية جمعاء فهي ام الرسل والانبياء عليهم وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام وام العلماء والعظماء والاطباء والفلاسفة والملوك والامراء والوزراء وام اهل المهن والحرف فقد أوصى بها الله سبحانه وتعالى خيراً اذ قال عز من قال : ((ولا تتمنوا ما فضل الله به للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مماكتسبن وسلوا الله من فضله ان الله كان بكل شئ عليما.))

فقد لعبت المرأة في المجتمع العربي الاسلامي دوراً كبيراً فقد كان لها شان كبير في السلم والحرب والعلم والعمل والدين والادب والسياسة تناضل وتساهم في تقديم العطاء جنبا الى جنب مع الرجل . وقد حفل تاريخنا العربي الاسلامي بنساء شهيرات مسلمات تركن بصماتهن على عصور تاريخية مختلفة فمنهن من اشتهرت بجهادها في سبيل الله ومنهن من اشتهرت بتقواها وزهدها ، ومنهن من عالجت القوافي فبرزت وخلد نتاج قريحتها على مر الزمن ومنهن من وثبت الى السلطان فبذت الرجال بحنكتها ودرايتها وحسن سياستها كست الملك الفاطمية التي كانت بصماتها واضحة على التاريخ الفاطمي فقد توصل البحث الى:

١. بالرغم من ان تعاقب الاحداث في هذه الفترة القصيرة والحرجة في تاريخ الدولة الفاطمية غير واضح كما ان بعض احداثها يشوبه الغموض فالشيء الذي لا يمكن انكاره هو الحنكة الواضحة التي ادارت بها ست الملك الامور.

٢. امتازت ست الملك بالحزم ورجاجة العقل واشتهرت بالكرم والحلم وعرفت بالتسامح الديني مع اهل الذمة.

٣. اثبت البحث تدخل المراة في هذا العصر في الكثير من الاحداث السياسية فقد اثبتت ست الملك عمق نضجها السياسي ومدى قدرتها على متابعة الاحداث وقيادة دولة مترامية الاطراف كالدولة الفاطمية.

أولا : المصادر

١. ابن الأثير: عز الدين ابي الحسن على ابن الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير ، الكامل في التاريخ، المجلد التاسع، دار صادر بيروت – بدون.

٢. ابن الصيرفي: (٤٦٣ – ٥٤٢ هـ / ١٠٧١ – ١١٤٧ م) تاج الرئاسة أمين الدين أبو القاسم على بن منجب بن سليمان الكاتب القانون في ديوان الرسائل حققه وكتب حواشيه د / أيمن فؤاد سيد الطبعة الأولي الدرر المصرية اللبنانية – القاهرة، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

٣. ابن القلانسي : أبو يعلي حمزة : المعروف بذيل تاريخ دمشق يتلوه نخب من تواريخ ابن الأزرق الفارقي وسبط ابن الجوزي ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، بدون.

٤. ابن خلدون: (٧٣٢ – ٨٠٨) تاريخ عبد الرحمن بن خلدون المسمي ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر – ضبط المتن ووضع الخواشي خليل شحازة ، مراجعة د / سهيل زكار – الجزء الرابع – دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة ، بدون.

٥. أبو المحاسن: (٨١٣ هـ / ٨٧٤ هـ) يوسف بن تغري بردي الاتابكي النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء الرابع ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ٢٠٠٨ م .

٦. الأنطاكي: يحيي بن سعيد، تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة التاريخ اوتيخا (٤٥٨) هـ / ١٠٦٧ م) ، حققه ووضع فهارسه عمر عبد السلام تدمري ، جروس برس – طربلس – لبنان ، ١٩٩٠ م.

٧. الدواداري : أبو بكر بن عبد الله بن أيبك ، كتر الدرر وجامع الغرر الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية تحقيق صلاح الدين المنجد ، الجزء السادس القاهرة ، ١٣٨٠ هـ ، ١٩٦١ م.

٨. المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق د / محمد حلمي محمد الجزء الثاني ، القاهرة ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.

٩. المقريزي: المقفى الكبير تراجم مغربية ومشرقية من الفترة العبيدية، اختيار وتحقيق محمد اليعلاوي ، الطبعة الأولي، دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

ثانيا : المراجع

١. السيد عبد العزيز سالم – سحر السيد عبد العزيز: دراسات في تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، ٢٠٠٣م

٢. أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر – تفسير جديد، الطبعة الأولي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م

٣. سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا في العصور الوسطى، الجزء الأول، الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٥م.

٤. عارف تامر: الحاكم بأمر الله خليفة وأمام ومصلح – دار الافاق الجديدة، مصر (بدون تاريخ) .

٥. عبد المنعم ماجد: الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٩م.

٦. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد المغرب، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٨م.

٧. حسين خضيري أحمد: علاقات الفاطمين في مصر بدول المغرب (٣٦٢ – ٥٦٧ –١٦ هـ / ٩٧٣٠ – ١١٧١) مكتبة مدبولي – القاهرة ، بدون .

٨. محمد عبد الله عنان: الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، الطبعة الثالثة ،مكتبة الخانجي القاهرة ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٣ م.

٩. محمد زغلول اسلام: الادب في العصر الفاطمي ، منشأة المعارف الإسكندرية (بدون تاريخ)

١٠. ناريمان عبد الكريم: المراه المصرية في العصر الفاطمي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٣م